

وسائل الإقناع في خطبة "دير الجماجم" للحجاج بن يوسف الثقفي

د/جميلة بورحلة*

جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل ، (djamila.bourahla@univ-jijel.dz)

التّشّ: 2024/12/15

القبول: 2024/11/02

الإرسال: 2020/02/22

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تأكيد حضور إستراتيجية الإقناع المنطقي نظريًا في ثنايا مفاهيم البلاغة العربيّة ، وتطبيقًا في بعض الأنواع النثرية كالخطبة. ولتحقيق هذين الهدفين انبرى البحث لمناقشة الإشكالية التالية: كيف أضفى الحجاج بن يوسف الثقفي البعد المنطقي على الأشكال اللغوية الفنيّة في خطبته؟ وقد كشف نصّ الخطبة أنّ اللّغة المستخدمة جامعةٌ لأفانين بلاغة العرب ، وطرائق القياس الأرسطيّ ، إضافةً إلى استباقيها بعض أدوات البلاغة الجديدة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة الجديدة؛ الإقناع؛ علم البيان؛ التكرير؛ الازدواج؛ الخطبة العربيّة.

Title: Means of persuasion in the sermon "Deir Al-Jamajim" by Al-Hajjajbin Yusuf Al-Thaqafi

Abstract: This research aims to confirm the presence of the strategy of logical persuasion in theory in the concepts of Arabic rhetoric, and applied in some prose types such as sermon. To achieve these two goals, the research was undertaken to discuss the following problem: How did Al-Hajjajbin Yusuf add the logical dimension to the technical linguistic forms in his sermon? The sermon text revealed that the language used is inclusive of the

*المؤلف المرسل.

methods of Arab rhetoric and Aristotelian measurement methods, in addition to anticipating some new rhetoric tools.

Key words: New rhetoric; persuasion; statement science; refining and duplication; Arabic sermon.

مقدمة:

وظائف النصّ الأدبيّ متعدّدة؛ منها ما يتعلّق بإبراز إشاراتٍ سياقية، ومنها ما يتعلّق بالجانب الاتصالي التداولي، ومنها ما يرتبط بالعلامات النصّية البنائية. والجانب التداوليّ هو جوهر الدرس البلاغيّ الجديد الذي اتّجه في بعض مناحيه إلى البحث في وسائل إقناع المتلقّمين منطقياً ولغوياً، لذلك فهو يُعدّ امتداداً للدرس البلاغيّ القديم الغربيّ والعربيّ وتطويراً له في الوقت نفسه، مع ما يلاحظ من اختلافٍ وتباينٍ بين الطرفين الغربيّ والعربيّ من حيث مغالاة الأول في المنطقية العقلانية.

يرصدُ هذا المقال إمكانية وجود إستراتيجية الإقناع بالفعل في الخطاب العربيّ القديم عموماً، سواء أكان خطاباً فنياً أم خطاباً حجاجياً، ومن ثمّ الوقوف على نقاط قوة الخطبة العربيّة القديمة وقدرتها على التأثير في المتلقّي، فتكون بذلك ذات وظيفة مزدوجة، جمالية وتأثيرية؛ فهي تبلغ القارئ أو السامع إشارات لغويّة غايته أداء وظيفة تواصلية معينة، إضافة إلى الغاية الفنيّة القائمة في ذاتها.

ولبلوغ نتائج ملموسة اعتمدت السيرة المنهجية التالية:

أولاً: الكشف عن سيرة الدرس الإقناعيّ العربيّ وعلاقته بمفهوميّ البلاغة والبيان، اللّذين يمنحانه التميّز عن الدرس البلاغيّ الغربيّ التقليديّ، وهذا ما يستلزم الإجابة عن هذه الإشكاليّة: إلى أيّ مدى كشفت مفاهيم البلاغة والبيان عند بعض العلماء واللّغويّين القدامى عن التوجّه أو المنحى الإقناعيّ فيها؟

ثانياً: الكشف عن مدى استعداد الناصّ العربيّ القديم للقيام بدور المحاجج المقنع، ومدى نجاحه في توظيف وسائل الإقناع المنطقية الاستدلالية واللغوية، من خلال معاينة أكثر النصوص الخطابية استلزماً واستقطاباً لها، أي خطبة الحجاج بن يوسف التي ألّاها بعد وقعة ذيّر الجماجم. وهذا ما يتبيّن تطبيقاً أثناء الإجابة عن الإشكالية الثانية: كيف جسّدت خطبة الحجاج بتركيبتها اللغوية وأساليبها البيانية فعل الإقناع المنطقيّ؟

الخطاب الإقناعيّ -أصوله ومبادئه:

-1

عرفت الدراسات اللغوية الحديثة توجهها صوب البحث في أدوات استمالة المتلقي والتأثير في سلوكه، قصد إقناعه بأفكار وأفعال معينة، وذلك توازيا مع ظهور "الخطابة الجديدة" (New rhetoric) مصطلحاً جديداً أطلقه شاييميرلمان (Chaim Perelman)، سنة 1958م⁽¹⁾، على هذا المجال من الدراسات الذي اقترن بأسلوب الحجاج في البلاغة المعاصرة.

والإقناع هو أساس العملية التواصلية التداولية وغيثها؛ إذ هدف المخاطب من توجُّهه بالخطاب إلى المتلقي هو إقناعه والتأثير فيه، وتوجيه أفعاله بالحجة المنطقية اللازمة التي تكون أماراً على نجاح التواصل، وإلا فشله وعدم تحقق الغاية المرجوة من إقامة الخطاب (وهي الإقناع). ويُعد كتاب "الخطابة" لأرسطو (Aristotle) أقدم كتاب تطرَّق إلى مفهوم الإقناع وأدواته في التقاليد الغربية⁽²⁾.

والحجاج أداة تحقيق الإقناع وأليته، وهو لا يتعلَّق بالخطاب من حيث كونه خطاب يقين وحقيقة أو خطاب باطل، بل على أساس ما يتضمَّنه من إمكان واحتمال فيسحان المجال لترجيح الحجج والموازنة بينها والمصادقة على بعضها دون أخرى، وليبيان ما هو أقرب إلى الصواب ومن ثمَّ إلى ميول المخاطبين واستجاباتهم، دون أن يكون لذلك الصواب سلطة الانغلاق دون الشكِّ والمساءلة، بل إنَّ ما في أمر الحجاج هو الوصول إلى حقيقة ما مقبولة من طرف الباتِّ والمتلقي بعد أخذ وردَّ بينهما: «ففي الحجاج كما عرّفه بيرلمان... ترتبط الفكرة بالعمل كما يتجلَّى في الواقع ارتباطاً وثيقاً. فالحقيقة ليست من صُنْع الأنا الديكارتية وحدها، وإنما يشترك في صنْعها المتكلِّم وجمهور سامعيه، فهذا الجمهور هو بمثابة الشاشة التي تسقط عليها الفكرة، ليتبين مدى صحتها ومدى صلابتها. فالحقيقة تقع خارج الذات وضمن الصحة فيها الواقع والعمل»⁽³⁾، على أن يكتسي الحوار الحجاجي الموضوعية التي يرتجى منها تفهُّم الطرف الآخر وشراسته وتعاونه من أجل بيان وكشف صحة الدَّعوى أو بطلانها بدل الوقوف موقفاً لخصم المتعصِّب المكابر⁽⁴⁾. ولقد أطلق البلاغيون الجدد على هذه الشراكة مصطلح "حوار الإقناع" (Persuasion dialogue) [وأيضاً "المناقشة النقدية" (Critical discussion)] الذي يقوم على احترام حرية الآخر وعدم سلبها؛ إذ يحاول كلُّ طرف في الحوار أن «يثبت رأيه اعتماداً على قواعد الاستدلال (Inference) من مسلمّات المشارك الآخر»⁽⁵⁾، والمقصود من هذا أن تتطلَّع المحاجة استناداً إلى مقدّمات يتقبَّلها ويسلم بها الطرف الثاني، ثم تقديم الأدلة التي تمكِّن من إثبات الرُّوى والدَّعاوى إثباتاً منطقياً معقولاً.

والملاحظُ على وسائل الإقناع الخطابيَّة قبل أرسطو أنَّها كانت وسائل انفعاليَّة تتوخَّى التأثير في عواطف المتلقِّي وخيالاته، بما يحمله "التأثير" من معنى "التَّضليل" في أكثر الأحيان أمام غيبة العقل. ولما جاء أرسطو دَعَم التأثير الانفعاليِّ بوسائل إقناع منطقيَّة تؤسِّس لتصديق العقل لها⁽⁶⁾، فنقل تبعاً لذلك الخطابة من غاية التأثير إلى غاية الإقناع، لتصبح بهذا المنظور خطاباً حجاجياً غايته الوصول إلى تحقيق الاستمالة بواسطة الاستدلال المنطقيِّ القابل للاختبار من قِبَل المتلقِّي، الذي يختارُ الإذعان أو التَّقبُّل طواعيةً عبر فعل الفهم والإدراك الواعي (من منظور الظاهراتيين)، لا إلزاماً كما هو الحال في الجدَل الذي يلزم أطراف أو طرف التلقِّي بنتائجه (الجدَل ينطلق من مقدّمات مسلّم بها فيلزم المتلقِّي بتقبُّل نتائجها قسراً، أمّا الخطاب الحجاجيُّ فإنّه ينطلق من مقدّمات مشهورة محتملة يُسهّم المتلقِّي في بيان وجه الصّحة أو الخطأ فيها).

ومن خلال فعل الاختيار الذي يمارسه المتلقِّي ضمن حقل الخطابة الجديدة عند بيرلمان، يُصبح متلقياً إيجابياً يناقش ما يوجّه إليه ويردُّ مدعماً بالحُجج، فينتقل من موقع التلقّي السلبي إلى موقع الإرسال في علاقة جدلية مستمرة، عكس المتلقّي في الخطابة القديمة الذي أذعن لسلبيّته، وسلّم بعلو مرتبة الخطيب على مرتبته. ولتحقيق غاية الإقناع وجب توفّر شرط بلاغيّ أساسي في الخطاب، وهو مراعاة المقام؛ إذ لا بدّ على الخطيب، لضمان نجاح العملية الاستدلالية، أن يكون مُلماً بخصوصية المتلقّي بجانبَيْها النفسي والعقلي، ومراعاة المقام الاجتماعي الذي يحيا فيه⁽⁷⁾، وبهذا يضمن المقام تغيّر نمط الحجاج وعدم ثباته تبعاً لتغيّر مقامات المتلقّين.

مفاهيم البلاغة والبيان العربيّين وعلاقتهما بمفهوم الإقناع:

لا يرمي الخطاب الحجاجيُّ سوى للإقناع، وكذلك البلاغة والبيان العربيّان. فالبلاغة ليست سوى علم يرمي إلى تحقيق غاية عند المتلقّي وهي: الإقناع والانتهاؤ إليه بطرق معيّنة، فهي تقصد إلى تفتيت آليات الإقناع والبحث فيها⁽⁸⁾، فتلتقي في ذلك مع الخطابة القديمة عند أرسطو والخطابة الجديدة عند بيرلمان في سيورتها نحو هذه الغاية.

وفي التراث البلاغيّ العربيّ مفاهيم للبلاغة تبين مقصدها، خصوصاً عند المتكلِّمين الذين كشف عن منحاهم العقليّ بوضوح كل من العتايي والجاحظ؛ يعرف العتايي البليغ بقوله «كلُّ من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ»⁽⁹⁾، أي إنّه كلُّ من يتوصّل إلى بيان حاجته في هيئة مقبولة يؤدّيها اللفظ الحسن الفصيح كما أوضح الجاحظ؛ حين عبّ على قول العتايي عندما قرّن بين إفهام

المعنى وجريانه على كلام العرب الفصحاء ، ليس بأيّ لفظٍ كان من كلام المؤلّدين والعامّة وإن كان مفهوماً ، بل من خلال أجود الألفاظ وأحسنها ؛ فمع اشتراط العرب القدامى في البلاغة بلوغ المعنى اشتراطوا أيضاً جودة اللفظ .

وقال العتايي أيضاً في مفهوم البلاغة ، هي : «إظهار ما غمض من الحقّ وتصوير الباطل في صورة الحقّ»⁽¹⁰⁾ ، وظاهر هذا القول لا يتحقّق إلا بإيراد الحجج المنطقية التي يتبيّن بها الباطل حقاً والحقّ باطلاً . وقد أيدّ أبو هلال العسكري هذا التعريف ، قائلاً : «أعلى رتب البلاغة أن يحجّ للمذموم حتى يُخرجه في معرض المحمود ، وللمحمود حتى يُصيّره في صورة المذموم»⁽¹¹⁾ . فحسب العسكري مقامات الكلام تتعدّد وتتوّع ، وكثيراً ما تطالها أمور عارضة ، لذا وجب على الكاتب أن يلجأ إلى بعض الحيل والمعاذير اللغوية ، حتى يحسّن القبيح أو يقبّح الحسن أو يصحّح الخطأ ؛ في موضع اعتذار عن هزيمة ، أو مدح دنيء له مصلحة فيه ، والخطّ من منزلة شريف استحقّ ذلك .

أمّا البيان فإنّه ، قبل أن يستقلّ علماً من علوم البلاغة في القرنين الخامس والسادس للهجرة ، جارياً على مجموعة من الفنون القولية التي يمثّلها التشبيه والمجاز والكناية⁽¹²⁾ ، قد كان عند الجاحظ يعزّ عن كلّ ما أبان المعنى الخفيّ ، يقول الجاحظ : «البيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتّى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصله كائن ما كان ذلك البيان ومن أيّ جنس كان ذلك الدليل . لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام فبأيّ شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»⁽¹³⁾ . والطرائق أو الوسائل التي يتحقّق بها البيان حسب الجاحظ خمسة : اللفظ ، الإشارة ، العقد (بالأصابع) ، الخطّ ، الحال (التصبّ)⁽¹⁴⁾ . ومنه يتّضح أنّ البيان الذي اهتمّ به "بيان إرسال" ، وفيه تطرّق إلى تفاصيل عملية الإرسال (الإيصال) التي تسعى إلى استمالة القلوب من خلال بعض المميّزات الصوتية ، والإشارات ، وبعض المظاهر اللغوية كحلاوة وطلاوة وفخامة الألفاظ ... وغيرها من الصفات التي تحدّد بواسطتها قوّة أثر حجة الخطاب الشفهيّ العربيّ .

ويسير الرّماني بمفهوم البيان على نفس مسار الجاحظ ، فهو يقصد به إيضاح المعاني وكشفها مع زيادة حسن الإبانة عنها ، وبهذا الحسّن تميّز عن غيرها ممّا لا يصحّ أن يُطلق عليه اسم بيان لمجرد فهم ما يتضمنّه ، قال : «والبيان على أربعة أقسام : كلام وحال ، وإشارة ، وعلامة . والكلام على وجهين : كلام يظهر به تميّز الشيء من غيره فهو بيان ، وكلام لا يظهر به تميّز الشيء فليس ببيان ، كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به معنى . وليس كلّ كلام

يُفهمُ به المرادُفهو حسنٌ (...) وليس يحسنُ أن يُطلقَ اسمُ بيانٍ على ما قُبِحَ مِنَ الكلامِ ، لأنَّ الله قد مدَحَ البيانَ واعتدَّ به في أياديهِ الجِسامِ فقال: (الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (*)⁽¹⁵⁾. ومن آياتِ القرآنِ الكريمِ التي وردَ فيها مصطلحُ "البيان" بمعنى الإيضاح والإظهارِ قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، 138] ، وقوله عزَّ وجلَّ أيضا: ﴿ وَزَرَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل ، 89] ، فكلِّمات القرآن الكريمِ واستخداماتها ومعانيها ، هي السند الأصلي الذي يؤسِّس مفاهيم المصطلحات البلاغية.

أما ابنُ وهب فنجدُه على عكسِ توجِّهِ الجاحظ ؛ حيثُ اهتمَّ بمرحلة إنتاج الكلامِ وما يلحقُها من بيانٍ ، ولم يكن اهتمامُه منصبًا على الإرسالِ . والبيانُ عنده على أربعة أوجُهٍ: بيانُ الأشياءِ في ذاتها دونَ ذكرٍ باللغة ، البيانُ الحاصلُ في القلبِ عند التَّفكُّرِ في دلالةٍ ما ، البيانُ الحاصلُ بنطق اللسانِ ؛ أي كُلُّ ما يؤدِّي اللغةَ وينقلُها مُشافهةً ، وبيانُ تبلُّغه الكتابةَ لِمَن كان بعيدا غائبًا⁽¹⁶⁾ . يتَّضح من هذا التقسيم أنَّ بيان المعاني يتحقَّقُ شكلياً من خلال سِمات الأشياء ، أو نفسياً من خلال شعور القلب ، أو لغوياً مشافهةً أو كتابةً.

ولابن وهب حديثٌ عن القياس ، وهو يعرفُه لغةً بالتمثِيلِ والتشبيهِ . ويكونُ وجهُ الشَّبهِ فيها يقعُ عليه مِن أشياء أو أفكارٍ قائما في بعض المعاني لا في سائرِها ، وإلا لم يختلفَ عن غيره الذي يشابهُه وكان هو وغيره سواءً وما استدعت حاجةً لفصليهما . ونتائجُ القياسِ ثلاثٌ ، حسب ابن وهب ، تتحدَّدُ تبعاً للمقدِّمات: فقد تكونُ النتيجةُ بُرْهانا إذا صدرت عن مقدمة لا غُبار للعقلِ عليها ، مصدِّقا لما فيها ، مسلِّما بأمرها . وقد تكونُ إقناعا إذا ما احتجَّ لها عن مقدِّمة مشهور ما تنطقُ به غير أنَّه مختلفٌ عليه . وإلا كانت مغالطةً إذا ما صدرت عن قولٍ وُضِعَ لإيقاع التَّصديقي والإيهامِ به⁽¹⁷⁾ . وتحدَّثَ الرَّجُلُ أيضا عن المَثَلِ وأشادَ بوظيفته الإقناعية والحاجة إليه للاستدلال ؛ فهو يقومُ مقامَ الحجَّةِ المنطقيَّةِ ، ومن خلاله يتبيَّنُ المتلقونُ الحجَّةَ ممَّا يُعرَضُ عليهم مِن أشباهٍ ونظائرِ الأمورِ المُعَبَّرِ عنها بِالأمثالِ⁽¹⁸⁾ . وفي هذا المقامِ يتَّضحُ أنَّ البيانَ ليس قضيةً البلاغةِ وحسبُ بل إنَّه أعقلُ وسيلةً للإقناعِ المنطقيِّ ، وحاجتهُ إليه كحاجة البلاغةِ إلى المنطقي في الخطابِ الحجاجيِّ.

وقد تطرَّقَ السَّكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" إلى علومِ الأدبِ التي يَنخُذُ علْمُ البيانِ فيها مفهومَ «معرفة إيرادِ المعنى الواحدِ في طُرُقٍ مختلفة ، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالتقصانِ لِيُحْتَرَزَ بالوقوفِ على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلامِ لِتمامِ المرادِ منه»⁽¹⁹⁾ ، فغايتُه هي الحرصُ على تطابقِ الكلامِ مع القَصْدِ أو الغرضِ منه ، أي مُطابقةً للمقدِّماتِ للنتائجِ.

والاختلاف الذي قَصَدَ إليه السَّكاكي لا يَرْتَبِطُ بالدَّلالات الوضعية المتَّفَق عليها، والتي لا يُغني فيها اختلاف الصِّياغات شيئاً في زيادة المعنى ونقصانه، وإنما يَرْتَبِطُ بالدَّلالات العقلية التي تتعلَّقُ فيها الصِّغ ببعضها البعض تعلُّقاً منطقياً مُعلَّلاً⁽²⁰⁾؛ بحيث تستلزم المعاني معانٍ أخرى، ويتمُّ الانتقالُ من معنى إلى آخر بسببِ علاقةٍ بينهما.

والمجازُ، حسب تصوُّر السَّكاكي، لا يَخْتَلِفُ عن الاستدلال ولا يستَقِلُّ عنه استقلالاً تاماً؛ لإقامته الحجة لكلِّ دعوى مُفترضة، غير أنَّ استدلالَ صاحبِ البيان أو الاستدلالَ اللغويَّ يَخْتَلِفُ عن الاستدلالِ المنطقيِّ من حيث إنَّ الأوَّلَ يتحقَّقُ لغوياً بجملةٍ واحدةٍ، أما الثاني فيتحقَّقُ بجمليَّتين على الأقلِّ تُشكِّلان المقدِّمة الكبرى والمقدِّمة الصُّغرى. وعلى الرغم من هذا الاختلاف توَصَّلَ السَّكاكي إلى كشفِ الطبيعة الاستدلالية للأساليب البيانية؛ فالصورة البيانيةُ بمثابة مقدِّمة كبرى تُؤدِّي إلى حدِّ أوسطٍ ينتهي إلى استنتاجٍ يُحقَّقُ أو يُثبِتُ الدَّعوى، نحو: (خذها وردةً) هذه الصورة عبارة عن مقدِّمة كبرى تستقطبُ مقدِّمة صُغرى غير مذكورة هي: الوردَةُ الحمراء، وتنتهي باستنتاجٍ مفادُه: الخدُّ أحمر⁽²¹⁾. ومن ثم فالاستدلالُ البيانيُّ تخيليٌّ ترتكزُ مقدَّمته على مبدأ التَّخييل، فيستلزم استنتاجاً مُخيَّلاً. كما تكونُ الاستجابة فيه تابعةً للخيالِ والوجدان.

مِمَّا سَبَقَ ذَكَرَهُ من تعريفاتِ البلاغة والبيان يتَّضحُ إمامُ العقل العربيِّ القديم ببعض تقاليدِ الخطابِ الإقناعيِّ، مثل إقامة الحجة، والكشف عما خَفِيَ من المعنى من أجلِ تحقيقِ الفهم عند المتلقِّي، مع الحرصِ على جودة الكلام وفصاحته تماشياً مع واقعِ البيئة العربية التي يَطغى فيها السَّماعُ، ومن ثمَّ يطغى على أسلوبِ الإقناع العربيِّ التَّخييلُ على النِّظرة العقلية؛ فالخطابُ الإقناعيُّ يرومُ البيانَ والإقناعَ عن طريقِ الأساليبِ البيانية التي تَمَنِّحُ الشَّكلَ جماله الذي يجذبُ المتلقِّي فيحقِّقُ لديه الفهمَ ويقنعه. ثم إنَّ هنالك مفهومًا من مفاهيم علم البلاغة، يتعلَّقُ بعلم المعاني، يتَّفَقُ وعواملُ الإقناع في البلاغة الجديدة، وهو مراعاةُ الكلام لمُقْتَضَى الحال، والمقصود به: «ضرورة موافقة الكلام لِمَنْ يُوجَّهُ إليهم من جهة، ومناسبتة لموضوعه من جهة أخرى»⁽²²⁾؛ فكما أنَّ الإقناع في البلاغة الجديدة عند بيرلمان يأخذُ أسبابَ نجاحه من الوُوقوفِ على مقامِ المتلقِّي وإتيانِ الحُججِ بعدَ معانيته، كذلك الأمرُ نجدُه في البلاغة العربية؛ إذ نلفي بِشرا بن المَعْتَمِر، أوَّلَ مَنْ كَتَبَ في الدَّرْسِ البلاغيِّ، يتحدَّثُ في صَحيفته عن المعاني وما يناسبُها من الألفاظ، وعن اللَّفْظِ وما يَحِبُّ أَنْ يَتَّسِمَ به من صفاتٍ تحثُّ السَّامِعَ على التَّمسُّكِ به.

وسائل إستراتيجية الإقناع في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي بعد دَيْر الجَمَاحِم:

نصُّ الخطبة:

خَطَبَ أَهْلَ الْعِرَاقِ بَعْدَ دَيْرِ الْجَمَاحِمِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ، وَالْعَصَبَ وَالْمَسَامِعَ، وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَاءَ، وَالشَّعَافَ، ثُمَّ أَفْضَى إِلَى الْأَمْخَاخِ وَالْأَصْبَاحِ، ثُمَّ ارْتَفَعَ فَعَشَّشَ، ثُمَّ بَاضَ وَفَرَّخَ، فَحَشَاكُمْ نِفَاقًا وَشَقَاقًا، وَأَشْعَرَكُمْ خِلَافًا، وَاتَّخَذْتُمُوهُ دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ، وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ، وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ، فَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَتُهُ، أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَتُهُ، أَوْ يَحْجِرُكُمْ إِسْلَامُ، أَوْ يَنْفَعُكُمْ بَيَانُ. أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَا، حَيْثُ رُمْتُمُ الْمَكْرَ، وَسَعَيْتُمُ بِالْعَدْرِ، وَاسْتَجَمَعْتُمُ لِلْكَفْرِ، وَظَنَنْتُمَا أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ، وَأَنَا أَرُمِيكُمْ بِطَرْفِي: وَأَنْتُمْ تَسْلُلُونِلُوَادًا، وَتَنْهَرُمُونَ سِرَاعًا. ثُمَّ يَوْمَ الزَّوَاوَةِ وَمَا يَوْمَ الزَّوَاوَةِ، بِهِ كَانَ فَسْلُكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ، وَبِرَاءَةُ اللَّهِ مِنْكُمْ، وَنُكُوصُ وَلِيِّكُمْ عَنْكُمْ، إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالِإِلِيلِ الشُّوَارِدِ إِلَى أوطَانِهَا، التَّوَاوَعَ إِلَى أَغْطَانِهَا، لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلُوي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ، حِينَ عَضَّكُمْ السِّلَاحُ وَقَصَّكُمْ الرِّمَاحُ. يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاحِمِ، وَمَا يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاحِمِ؟! بِهِ كَانَتْ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ، بِضَرْبِ يُزْبُلِ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ، وَيَذْهُلُ الْحَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ.

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، الْكَفَرَاتِ بَعْدَ الْفَجَرَاتِ، وَالْعَدَرَاتِ بَعْدَ الْخَفَرَاتِ، وَالزَّوَوَةَ بَعْدَ الزَّوَاتِ! إِنَّ بَعْثَكُمْ إِلَى ثُغُورِكُمْ غَلَّثُمْ وَخَنَنُمْ، وَإِنْ أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ، وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ. لَا تَذْكُرُونِ حَسَنَتَهُ، وَلَا تَشْكُرُونِ نِعْمَتَهُ. هَلْ اسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ، أَوْ اسْتَفْوَاكُمْ غَاوٍ، أَوْ اسْتَفَرَّكُمْ غَاصٍ، أَوْ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ، أَوْ اسْتَفْضَدَّكُمْ خَالِعًا لَا تَبْعُثُمُوهُ وَأَوْيْتُمُوهُ، وَنَصَرْتُمُوهُ وَرَجَبْتُمُوهُ.

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، هَلْ شَعَبَ شَاغِبٌ، أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ، أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ إِلَّا كُنْتُمْ أَتْبَاعَهُوَأَنْصَارُهُ. يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، أَلَمْ تَنْهَكُمُ الْمَوَاعِظُ؟ أَلَمْ تَرْجُرْكُمُ الْوَقَائِعُ؟! ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الشَّامِ، إِنَّهَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الرَّامِحِ عَنْ فِرَاجِهِ، يَنْفِي عَنْهَا الْمَدَرَ، وَيُبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ، وَيَكْثُرُهَا مِنَ الْمَطَرِ، وَيَحْمِيهَا مِنَ الضَّبَابِ، وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذَّبَابِ. يَا أَهْلَ الشَّامِ، أَنْتُمْ الْجَنَّةُ وَالرِّدَاءُ، وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْجِذَاءُ»⁽²³⁾.

تستدعي إستراتيجية الإقناع وسائل منطقية ولغوية، وخصوصًا ضمن مجال الخطب التي تعلق فيها البُرهة الخطابية أكثر من أي نص خطابي آخر، والتي تتجلى فيها بوضوح الوظيفة التواصلية الإقناعية. والسؤال الذي يطرح ههنا: ما مدى صحة تعلق الإقناع بإحدى الوسائل دون الأخرى؟ وهنا يمكن القول بأن الوسائل المنطقية واللغوية تفرق بقدر ما

تتألف لأن كفاءة نجاح الإقناع "اللغة"؛ فبواسطتها يتم تقديم الحجج المنطقية إضافةً إلى كونها تحمّل في ذاتها وحدات إقناعها الخاصة⁽²⁴⁾، وبالمقابل إذا استغنت اللغة بوسائلها عن البراهين فإنها ستخرج من مجال الوظيفة الإقناعية إلى مجال آخر قد يكون الوصف مثلاً...

3-1- وسائل الإقناع المنطقية:

يستدعي هذا العنوان التساؤل عن مدى توفر وسائل الإقناع الحجاجي في النص الخطابي العربي القديم، وهو تساؤل يمكن الإجابة عنه بالإيجاب إزاء نصّ منظرية أو مجادلة، أو خطب علماء الكلام التي تستوجب البراهين العقلية الصارمة، بينما يكاد يجاب عنه بالسلب ضمن حدود خطابية أخرى (شعر، خطب غير الخطب الكلامية) يكتسح فيها الاستدلال البياني موضع الاستدلال المنطقي، والصورتان الخيليتي مجال الصور العقلية البرهانية، لذلك جرى القول بأن النص الخطابي العربي نصّ إقناعي ولكنه ليس حجاجياً بالضرورة «لأنه لا يعبر بالضرورة عن قضية خلافية. يعني هذا أن كل نصّ حجاجي نصّ إقناعي، وليس كل نصّ إقناعي نصّ حجاجي»⁽²⁵⁾، والقياس جوهر وسائل الإقناع المنطقية، وهو ثلاثة أصناف تستلزم جميعها الارتباط المنطقي العقلي بين المقدمات والنتائج:

3-1-1- القياس المنطقي (Syllogism): يقوم على مقدمتين تتعلق كل منهما

بالأخرى تعلقاً دلاليّاً بحيث ينضوي مفهوم المقدمة الصغرى (Minor premise) تحت المعنى أو المفهوم الذي تقدّمه المقدمة الكبرى (Major premise)، وهما بدورهما يتعلّقان بقول ثالث يحلّ مفهوماً أعلى ممّا هو في المقدمتين، يتمثّل في مفهوم: النتيجة أو الدعوى (Conclusion). ووظيفة القياس المنطقي هي «الانتقال ممّا هو مُسلّم به عند المخاطب-أي المقدمة الكبرى- إلى ما هو مُشكل؛ أي إلى النتيجة»⁽²⁶⁾، مثال:

المقدمة الكبرى - كلّ الناس فانون

المقدمة الصغرى - سقراط إنسان

الدعوى - سقراط فاني.

3-1-2- القياس المضمر (Enthymeme): هو ما تُحذف مقدّمته الكبرى، نحو:

الوطن جديرٌ بالولاء لأنه يساعد على تربية المرء⁽²⁷⁾، وفيه يجري القياس كالتالي:

المقدمة الكبرى (مضمرة) - كلّ شيء يساعد على تربية المرء فهو جديرٌ بالولاء

المقدمة الصغرى (مذكورة) - وطن المرء يساعد على تربيته

النتيجة (مذكورة) - وطن المرء جديرٌ بالولاء.

ومن جهةٍ أخرى قد تُحذفُ مقدّمته الصغرى ونتيجته أيضا، ويكونُ طريقُ الكشفِ عنهما هو الاستنباط⁽²⁸⁾، نحو قول طه حسين: «نريدُ أن نفرغَ من مسألة القديم والجديد. وهل من سبيلٍ إلى أن نفرغَ من مثل هذه المسألة؟ فقد رأينا في فصلٍ مضى أنّها مسألةٌ تلازمُ الأمم الحية، وتلازمها لأنها حية؛ إذ كانت الحياة بطبيعتها تطورا وكان التطور بطبيعته انتقالا من حالٍ إلى حالٍ»⁽²⁹⁾، وإجراء القياسي كالتالي:

المقدمة الكبرى (مذكورة) - القديم والجديد مسألةٌ تلازمُ الأمم الحية

المقدمة الصغرى (مضمرة) - مصر حية

النتيجة (مضمرة) - القديم والجديد مسألةٌ تلازمُ مصر.

3-3-1-3 القياس المتدرج (Sorites): يقومُ على تعلُّقِ مجموعاتٍ من القياساتِ

المنطقية ببعضها البعض، حيثُ تخلُقُ نتيجةُ القياسِ المنطقيّ الأوّل مقدّمةً كبرى تؤدّي إلى نتيجةٍ هي بدورها مقدّمةً كبرى تستلزمُ نتيجةً أخرى إلى غايةِ النتيجة الأخيرة، موضع الإشكال، والمُراد إثباتُ صحّتها وتأكيدُها⁽³⁰⁾، نحو:

كلُّ المساييرين للحدّاء متحرّرون من القيود

كلُّ المتحرّرين من القيود مرعّعون

كلُّ المساييرين للحدّاء مرعّعون

كلُّ المرعّعين مرضى عقليا

كلُّ المساييرين للحدّاء مرضى عقليا

كلُّ المرضى عقليا في حاجةٍ إلى التعاطف

كلُّ المساييرين للحدّاء في حاجةٍ إلى التعاطف.

● الإجراء التطبيقي:

انبثقتُ خطبةُ الحجاجين يوسف في تلك البيئة العربية التي رسمت حدودَ البيان عند الجاحظ، والتي اتخذتُ قوّةَ المظهرِ ورونقَ الأسلوبِ حجةَ الإقناع. ورغم ذلك يمكن إجراء مقارنةٍ (في هذا الموضع الذي تغلبُ فيه وسائلُ الإقناع اللغوية) بين وسائلِ الإقناع المنطقية والصورة البيانية العربية على غرارِ المخطّط الذي قدّمه السكاكي، ويؤيدُ هذا المسعى اتفاقُ الجوهر بين القياسِ وصورةِ البيان، وإن اختلفتِ الهيئة؛ لأنّ القياسَ في جوهره تشبيهٌ وتمثيلٌ⁽³¹⁾، فهو يقومُ على علاقةِ التشابه بين صورتين أو موقعين أو قضيتين، فتتحققُ بذلك صلاحيةُ الحكم على أحد الطرفين بحكم الآخر، أي إنّه يقومُ على علاقةِ التشابه بين المقدّمتين اللتين تُفضيان إلى نتيجةٍ هي وجهُ الشبه والاتفاق بينهما. ولقيام القياس على فكرة

المشابهة فقد مَسَّ أهمُّ أدواتِ علمِ البيانِ في البلاغةِ العربيَّةِ أي التشبيهِ والاستعارةِ، اللذينِ يميَّزانِ بقوةِ البيانِ عن المقصدِ وقوةِ التأثيرِ في المتلقِّينِ، وهذا ما يسمَحُ بتحوُّلِهما من مجردِ أداتينِ لأداءِ الوظيفةِ الأدبيةِ أو الشعريَّةِ إلى وسيلتينِ للإقناعِ الفكري⁽³²⁾، ومحاولةِ قهرِ الحُجَّةِ بالحُجَّةِ لبيانِ وَجهِ الصِّحَّةِ.

وسيتَّمى نصُّ الخطبةِ الوقوفُ على التشبيهِ والاستعارةِ مع بيانِ وجهِهما المنطقيِّ:
- **الاستعارةُ:** توفَّرت في نصِّ الخطبةِ الاستعارةُ المكنيَّةُ ممثلةً في قولِ الحجاجِ "إنَّ الشَّيْطَانَ (...) ثُمَّ ارْتَفَعَ فَعَشَّشَ، ثُمَّ ابْصَرَ وَفَرَّخَ"، حيثُ شَبَّهَ الشَّيْطَانَ (المشَبَّهَ) بالَحَشْرَةِ (المشَبَّهَ بهِ)، حَذَفَ المشَبَّهَ بهِ وتركَ ما يدلُّ عليه منِ قرائنِ هي أفعالُ التَّعَشِّيشِ والتَّبْيِيزِ والتَّفَرِيقِ. وتجري هذه الاستعارةُ منطقيًّا في قالبِ قياسٍ مضمرٍ كما يلي:
المقدمةُ الكبرى (مذكورة) - الشَّيْطَانُ عَشَّشَ وَابْصَرَ وَفَرَّخَ
المقدمةُ الصَّغرى (مضرة) - الحَشْرَةُ كَانَتْ يَعْشِشُ وَيَبْيِيزُ وَيُفَرِّقُ
الدَّعْوَى (مضرة) - الشَّيْطَانُ حَشْرَةٌ.

وتشبيهُ الشَّيْطَانِ بِالْحَشْرَةِ من خلالِ ثلاثةِ أفعالٍ دالَّةٍ كاملةٍ فيه تأكيدٌ للموقعِ القويِّ الَّذِي احتلَّهُ الشَّيْطَانُ في نفوسِ أهلِ العراقِ حتَّى صارتِ أفعالُهم كُلُّها لا تُحَمَدُ، ومن ثَمَّ فَقَدْ حاولَ الحجاجُ إقناعَهُمْ بفكرةٍ مؤداها أنَّ خروجَهُمْ عن سبيلِ الطاعةِ يُقِلِّلُ حظَّ الاعتمادِ عليهم، مادامَ الشَّيْطَانُ قد اغواهُم فاستبطنَ أهمَّ ما يُبَيِّنُ ويوضِّحُ لهم طريقَ النَّجاحِ والانتصارِ، خصوصاً بعدما وَقَعَ منهم يومُ معركةِ دَيْرِ الجَمَاجِمِ من تخاذُلٍ وانهزامٍ وفرارٍ...
- **التشبيهُ:** وردَ منه قولُ الخطيبِ: "إنَّما أنا لكم كالظِّلِّيمِ الرَّامِحِ عن فِراخِهِ، يَنْفِي عنها المَدَرَ، ويُبَاعِدُ عنها الحَجَرَ..."، وتبيَّنَ معادلتُهُ المنطقيَّةُ كما يلي:

المقدمةُ الكبرى (مذكورة) - الحجاجُ شَبَّهَ بذكرِ الظِّلِّيمِ (الظِّلِّيمِ)
المقدمةُ الصَّغرى (مذكورة) - الظِّلِّيمُ يحِمي صغارَهُ في جميعِ المواقِفِ
النتيجةُ (مذكورة) - الحجاجُ أيضاً مدافعٌ عن الذينِ ينصرونَهُ، على أساسِ علاقةِ الشَّبهِ بينَهُ وبينِ الظِّلِّيمِ.

وهذا القياسُ منطقيٌّ تامٌّ توفَّرت فيه جميعُ الأركانِ.
ومن التشبيهِ أيضاً قوله: "أنتم الجُنَّةُ والرِّداءُ"، وهو تشبيهٌ بليغٌ، ويُجرى منطقيًّا:
المقدمةُ الكبرى (مذكورة) - أنتم الجُنَّةُ والرِّداءُ
المقدمةُ الصَّغرى (مضرة) - الجُنَّةُ والرِّداءُ يحميانِ صاحِبَهُما
النتيجةُ (مضرة) - أنتم الذينِ توفِّرونِ الحِمايةَ لقايدِكُمْ.

وتَضَطُّعُ هاتان الصَّوْرَتانِ بِإِقْناعِ أَهْلِ الشَّامِ بِنُصْرَةِ الحَجَّاجِ والمُضِيِّ تحتَ لوائِهِ ، وبالمقابلِ سيكونُ هو القائدُ الكَفءُ الَّذِي يسعى لتوفيرِ الأمنِ والاستقرارِ ؛ فهو لهم كذَّكرِ التَّعامِ المُدافعِ عن صغارِهِ ما داموا هُم بِمِثابَةِ التَّرسِ أو الرِّداءِ المُحصنِ لهم. والخطابُ المُوَجَّهُ لأهلِ الشَّامِ ، بما توفَّرَ من وسائلِ إقناعيةٍ ، يَنزِعُ إلى بَثِّ الثِّقَةِ في نفوسِهِم من جهةٍ ، وإشعارِهِم بِثِقَةِ الخطيبِ بِهِم من جهةٍ أُخرى ، وهو خطابٌ يَقَعُ مقابلًا لِلخطابِ المُوجَّهِ لأهلِ العِراقِ ، والَّذِي أَكَّدَ بِجميعِ تفاصيلِهِ وَخطواتِهِ خِيبَةَ أَمَلِ القائدِ فِيهِم ، بعدَ خروجِهِم عن طاعَتِهِ يومَ ذِي الجَمَاحِمِ ، مُنَوِّهاً في الوقتِ ذاتِهِ بِعَدَمِ رَجَعَتِهِ إِلَيْهِم نظراً لِترسُّخِ الخِذلانِ في طَبْعِهِم ، فوَلَّى وَجْهَهُ شَطْرَ الشَّامِيِّينَ مَقْنِعا إِيَّاهُم بِجدوىِ الاعتمادِ عَلَيْهِم.

وعلى الرِّغمِ مِنَ الطَّابعِ التَّخيليِّ لِلخطبةِ فَقَدِ احتوتْ على قياسٍ مضمَرٍ قائمٍ بذاتِهِ دونَ ارتباطٍ بأحدِ الصَّوَرِ البَيانيَّةِ ، ولا عَرُفَ في ذلكَ ؛ فَالحَجَّاجُ وإنْ كانَ خطيباً بليغاً يَمْتَلِكُ ناصيةَ اللُّغَةِ ، فهو في المَقامِ الأوَّلِ قائِدٌ تُحَيِّمُ عَلَيْهِ مَهَنَّتُهُ إقْناعَ أُوليائِهِ بِالْحُجَّةِ المنطقيَّةِ والبراهينِ المعقولةِ ، وبالأخصِّ بعدَ الموقفِ الَّذِي حَتَمَ عَلَيْهِ الوُقُوفَ بينَ فِئَتَيْنِ مُختلفَتَيْنِ ، مُخاطِباً إِيَّاهُما بِنبرَتَيْنِ متضادَّتَيْنِ ، ويَظْهَرُ هذا القياسُ في قولِهِ: "هل اسْتَخَفَّكُمْ ناكِثٌ ، أو اسْتَغْواكُمْ غاوٍ ، أو اسْتَغْرَكُم عاصٍ ، أو اسْتَنْصَرَكُمْ ظالمٌ ، أو اسْتَعْضَدَكُمْ خالِعٌ إلَّا تَبْعُموهُ وَأَوْثِقُموهُ ، وَنَصْرُموهُ وَرَجَبْتُمُوهُ" :

المقدِّمة الكبرى (مذكورة) - أهلُ العِراقِ تابِعُونَ لِكُلِّ ناكِثٍ ، وِغاوٍ ، وعاصٍ ، وظالمٍ ،

وَخالِعٍ

المقدِّمة الصَّغرى (مضمرة) - كُلُّ ناكِثٍ وَغاوٍ وَعاصٍ وَظالمٍ وَخالِعٍ لا يوثِقُ فِيهِم ولا

يَعْتَمِدُ عَلَيْهِم

الدَّعوى (مضمرة) - زَعَرَعَةُ الوُثُوقِ أَهْلَ العِراقِ أو الاعتمادِ عَلَيْهِم.

وفي هذا المَقامِ يوكِّدُ الخطيبُ سَعْيَهُ نَحْوَ إقْناعِ مُتلقِيهِ مِنَ أَهْلِ الشَّامِ بِتخاذُلِ أَهْلِ العِراقِ بعدَ ما لَقِيَهُ مِنْهُمْ يومَ ذِي الجَمَاحِمِ ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتَبَدَّ لَهُم بِهِم ، وهذا هو المعنى العام الَّذِي حَفَلَتْ بِهِ الخطبةُ مِنْ بدايتها إلى نهايتها.

3-2 وسائلُ الإقْناعِ اللُّغويَّةِ:

مِنَ الوَسائِلِ اللُّغويَّةِ ما تَنَكَّشَفَ فِيها الخاصِّيَّةُ الإقْناعيَّةُ أَكْثَرَ مِنْ غَيرِها ، مِنْها التَّكْريْرُ

والازدواجُ:

3-1-2 التَّكْريْرُ (Repeating):

لِلتَّكْريْرِ فائِدةٌ في الإفْصاحِ عَنِ المَعْنى وتوكيْدِ الكلامِ وإثباتِهِ ، وزيادَةِ فِهمِ المُتلقِي وَجذبِ انتباهِهِ ، وَهُوَ وَثيقُ الصِّلَةِ بِالمَقامِ الَّذِي يَسْتَدْعِيهِ ؛ لِأَنَّ

التكرير لا يُفيدُ معنى الإقناع إلا إذا اقتضى المقام الأمر وقصد منه ذلك. ويعدُّ التكرير موضع اهتمام اللغويين العرب القدامى، مثل: أبي هلال العسكري الذي قرَّنه بتأكيد الحجة ومدِّ القول حتى يبلُغ غاية الإقناع⁽³³⁾، وهو ينقسم إلى قسمين:

- تكرر الشكل، ويكون التكرير بالشكل بـ⁽³⁴⁾؛

- إعادة المكرر ذاته سواء أكان لفظاً مفرداً أم جملةً، سواء وقع في منطوق واحد أو أكثر.

- تكرر في هيئة عنصرين اثنين من مادة واحدة (أي جذر واحد)، وهذا من شأنه خلق التجانس وتقوية المقصد المراد، وقد تتخذ هذه الهيئة شكل:

فعل + فاعل

فعل + مفعول مطلق... وغير ذلك.

- تكرر بتغيير بسيط في التركيب لا يؤدي إلى إخلال الهيكل أو الشكل.

- تكرر المضمون، يمكن تصنيف التكرير في المضمون إلى أربعة أصناف⁽³⁵⁾:

- تكرر مفردتين متواليتين (من نفس المعنى) أو أكثر في جملة واحدة أو منطوق واحد.

- تكرر مفردتين في جملتين أو منطوقين متواليتين.

- تكرر مفردتين في ثنائية لفظية، نحو: "وعلى هذا المثل حُكِمَ على سائر الأعمال الصعبة والأفعال الشاقة"⁽³⁶⁾، الاسم المعطوف وصفته "الأفعال الشاقة" يحملان نفس معنى "الأعمال الصعبة"، ومن شأن هذا التكرار تقوية المعنى وتأكيده.

- تكرر جملتين متواليتين أو أكثر، نحو: "وإنَّ حَسَنَتهُ بهذا الاسمَ وَزَيَّنَتهُ بهذا اللَّقبِ"⁽³⁷⁾، تحمل الجملة الثانية "زَيَّنَتهُ بهذا اللَّقبِ" نفس معنى الجملة الأولى "حَسَنَتهُ بهذا الاسم"، كما أنَّها توازيها في عدد الوحدات وصيغها وترتيبها.

3-2-2-3-الازدواج (التوازي، التوازن Balance): الازدواج بنيةً كلاميةً متوازنة الأجزاء

في عددٍ وحداتها اللغوية وزنتها، وهبات ترتيبها، وفواصلها⁽³⁸⁾؛ وقد يقع الازدواج في الصور الثلاث جميعها أو في اثنتين منها أو في إحداها فقط، وأجمل أوجه التوازن ما تحققت فيه الصور السابقة جميعاً.

وتكمن أهمية الازدواج في الكشف عن الروح التنظيمية للخطيب، يقول الباحث كمال الزماني: «الخطاب المنظم المقاطع، المرتب المعاني، المعتدل الألفاظ، والمتوازي التراكيب والأوزان لا بدَّ وأن يكون صاحبه منظمًا كذلك، إذ أنَّ فائدة الشيء لا يعطيه كما يقال. وكلُّ شخصٍ منظم لا بدَّ أن يكون تفكيره [منظم]»⁽³⁹⁾ كذا. كما أنَّ الازدواج مخبر عن صدق معاني الخطاب: «إنَّ المخاطبين، إذ يقرَّغ أسماعهم خطاباً عبارة عن بنيةٍ تطريزية

منظمة قائمة على عددٍ من التوازيات المعجمية والنحوية/ التركيبية والصوتية ، فإنَّ هذا الأمر يدفعهم ، بل ويحثهم على إدراك أنَّ هذه البنية تحلُّ وراءها -لا شك- معانٍ رفيعة ومهمة تعكس رؤية صائبة لواقع الأمور»⁽⁴⁰⁾. فالازدواج ينقل الخطاب إلى مستوى جمالي ذي فكر وإيقاع ، لذلك فهو مرآة لشخصية الخطيب "الإيجابي" الذي يكون قدوة لمخاطبيه ، فيستميلهم ولا يزجرهم ، يعظهم ولا ينهرهم. كما أنَّه بنية توجيهية تأثيرية في آن ؛ فالمعاني المكثفة في التراكييب المزدوجة تحفز الإقناع الفكري فيتحقق التصديق العقلي ، والإيقاع يستميل الشعور فيتحقق الرضا النفسي ، ومن ثمَّ يكون الخطاب ذو البنى المزدوجة كاشفاً عن شخصية الخطيب ، وصانعا لشخصية المتلقي.

الإجراء التطبيقي:

توضِّح الجدولُ التالية شواهد التكرير بنوعيه ، وشواهد الازدواج ، استنادا إلى نصِّ خطبة الحجاج:

تكرير الشكل:

-الجدول 01: تكرير الشكل-

نوع التكرير	شاهد التكرير	العدد
إعادة المكرر ذاته على مستوى اللفظ المفرد والجُملة	يا أهل العراق	ثلاث مرّات في منطوقات مختلفة
	يا أهل الشام	مرّتان في منطوقين مختلفين
	يوم الزاوية	مرّتان في منطوق واحد
	يوم دَير الجُمّاجم	مرّتان في منطوق واحد
	الخليل	المكرّر وقع لفظا مفردا وقد تكرر مرّتين في منطوق واحد
تكرير في هيئة عنصريّن من مادّة واحدة	النّزوة بعد النّزوات (اسم مفرد+اسم جمع)	مرّة واحدة في منطوق واحد
	شعب شاغب (فعل+اسم فاعل)	مرّة في منطوق واحد
	نعب ناعب (فعل + اسم فاعل)	مرّة في منطوق واحد
	زفر زافر (فعل + اسم فاعل)	مرّة في منطوق واحد

تكريرُ بإعادة الصياغة	-	-
-----------------------	---	---

يُلاحظ من خلال الجدول غلبة نوعين من أنواع التكرير الشكلي دون النوع الثالث المتمثل في التكرير بإعادة صياغة الجملة.

تكريرُ المضمون:

-الجدول 02: تكرير المضمون -

نوع التكرير	شاهد التكرير	العدد
تكريرُ مفردتين متواليتين أو أكثر في جملة واحدة	الكفريات بعد الفجرات	مرّة واحدة
	نصرتُموه ورجبُتُموه	مرّة واحدة
	أتباعه وأنصاره	مرّة واحدة
تكريرُ مفردتين في جملتين متواليتين	شفاقا/خِلَافا	مرّة واحدة
	المكر/الغدر	مرّة واحدة
	الشوارد/النوازع	مرّة واحدة
	السلاح/الرماح	مرّة واحدة
	ينفي/يُباعد	مرّة واحدة
	يحميها/يحرُسها	مرّة واحدة
	-	-
تكريرُ مفردتين في ثنائية لفظية	-	-
تكريرُ جملتين متواليتين أو أكثر	تنفَعُكم تجربةٌ ، أو تعظُكم وقعةٌ	مرّة واحدة
	لا تذكرون حسنةً ، ولا تشكرون نعمة	مرّة واحدة
	ألم تنهَكم المواعظُ ؟ ألم تَزَجُرْكم الوقائع ؟!	مرّة واحدة

يُلاحظ من الجدول بروز ثلاثة أنواع من أنواع تكرير المضمون في نص الخطبة ، هي:

- تكريرُ مفردتين متواليتين في جملة واحدة.

- تكريرُ مفردتين في جملتين متواليتين.

- تكرير المضمون على مستوى جملتين متواليتين، دون النوع الثالث المتمثل في: تكرير مفردتين في ثنائية لفظية.

ولا يكادُ سطرٌ في الخطبة يخلو من نوعٍ من أنواع التكرير الشكلي والمعنوي، والاهتمامُ البالغُ بهذا الغنصر اللغوي يكشفُ عن جذقٍ لغويٍ يمتازُ به الحجاجُ، إضافةً إلى تنبُّههِ إلى أثرِ الإيقاعِ الذي يحلُّهُ التكريرُ في استمالةِ وجذبِ انتباهِ المُتلقين: «فإثارةُ انتباهِ مُستمعٍ التي لا تكونُ بالحججِ أكثرَ مما تكونُ بتكرارِ لأصواتٍ يعينُها»⁽⁴¹⁾، بغَضِّ النظرِ عن المعنى الذي تحملهُ خطبةُ الحجاجِ من حيثُ تقبُّلِ العراقيينَ لها وتقبُّلنا، أو رفضهم ورفضنا، فإنَّ بنيتها التكرارية (والازدواجية كذلك) تستميلُ المُتلقينَ لتقبُّلها لغويًا في مختلفِ أعصرِ التلقي، بل وتدفعُهم حتَّى للاقتناعِ الفكري، لأنَّ الخطيبَ لا يُكرِّرُ من أجلِ خَلْقِ الإيقاعِ فقط، بل لِتوجيهِ الاهتمامِ إلى معنى التركيبِ الذي تولَّدَ عنه ذلك الإيقاعُ.

الازدواج:

- الجدول 03: الازدواج-

الجملة	الاتفاق في الرتبة		الاتفاق في الترتيب	الاتفاق في الفاصلة
	تام	ناقص		
ثم ارتفع فعشش، ثم باصفرح	-	+	+	-
اتخذتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تطيعونه، ومؤامراً تستشيرونه	-	+	+	+
كيف تنفعكم تجربة؟ أو تعظكم وقعة	-	+	+	+
أو يحجزكم إسلام، أو ينفعكم بيان	-	+	+	-
وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر	-	+	+	+
وانتم تسألونلواذا، وتنهزمون سراعاً	-	+	+	-
وبراءة الله منكم، ونكوص ولينكم عنكم	-	+	+	+
كالإبل الشوارد إلى أوطانها، التوازع إلى أعطانها	+	-	+	+
لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنييه	-	+	+	+
حتى عضكم السلاح، ووَقَصْتكم الرماح	-	+	+	+

+	-	+	-	وما يومٌ دَيْرَ الجَماجم؟! به كانت المعاركو الملاحم
+	+	+	-	بضربٍ يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ ، ويُذَهِّلُ الخليلَ عن خَلِيلِهِ
+	+	+	-	الكفّرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخترات ، والنزوة بعد التزوات
+	-	+	-	إن بُعِثْتُمْ إلى ثُغُورِكُمْ غَلَّيْتُمْ وَخُثِّمْتُمْ ، وإن أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ ، وإن خَفْتُمْ نَافَقْتُمْ
+	+	+	-	لا تذكرونَ حَسَنَةً ، ولا تشكرونَ نِعْمَةً
-	+	+	-	هل استخفكم نايث ، أو استغواكم غاو ، أو استفزكم عاصي
-	+	-	+	أو استنصركم ظالم ، أو استغضدكم خالِع
+	+	+	-	إلا تبعثوه وأوتئموه ، ونصرئموه ورجبئموه
-	+	+	-	ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟!
+	+	+	-	ينفي عنها المَدَر ، ويباعدُ عنها الحَجَر ، ويَكْنُها مِنَ المَطَر
+	+	+	-	ويحميها مِنَ الضَّبَاب ، ويحرُسُها مِنَ الذِّئَاب
+	+	-	+	أنتم الجنة والرداء ، وأنتم العدة والجذاء

يُلاحظ من خلال الجدول أن التوازن التام تحقق في عبارات قليلة من النص ؛ حيث إن معظمها سلك سبيل الأزواج الناقص.

ومن خلال الرؤية العامة لنص الخطبة يتبدى الانتشار الواسع للتكرير بنوعيه وبني الأزواج مقارنة بالوسائل المنطقية للإقناع ، وهذا ما يستدعي التساؤل عن مدى قوة وظيفتهما الإقناعية الدلالية ؛

لَمْ يردُّ التكريرُ في الخطبة بغرض مدِّ القول وإطالته في ذاته ، ولم يرد الأزواج فيها من أجل حثِّ القارئ على التلذذ بالإيقاع أو التغمّة التي يُحدثها التوازن في الفواصل وعدد الوحدات وزيتها ؛ فهما معاً (التكرير والأزواج) يشكّان الأداة التي تُعبّر عن حاجة الأديب ومقصده ، من خلال ما تطرحه البيئة العربية القديمة من وسائل لغوية تنزغ في معظمها نحو

التكرار، وتحقيق التجانس بين الجمل حسب ما ألقه الذوق العربي آنذاك. لذلك فإن رونق الأسلوب إذا كان ضرورةً للتعبير فرضتها البيئة فإنه ليس مقصوداً لذاته، بل هو موجهٌ لخدمة أو أداء وظيفة أخرى هي التأثير في المتلقي وتبليغهُ أفكاراً معينة، وعليه فالتكرار والازدواج قد زادا المعنى الذي أبانه الحجاج بالتشبيه والاستعارة جلاءً ووضوحاً؛ فالبيئة التكرارية الموجهة نحو أهل العراق (يا أهل العراق) تؤكد شدة وعيده بهم وتخصيصهم بالغيوب والمساوي دون غيرهم، كما أن بيئة التكرار التي اتخذت نفس المادة على هيئة (فعل + اسم فاعل)، نحو: (شَغَب شَاغِب/نَعَب نَاعِب/زَفَر زَاوِر) تؤكد نسبة الفعل إلى فاعله والصفة إلى الموصوف بها، والفعل للإقناعي الذي تجسده هذه الهيئة هو ترسيخ فكرة سوء التصرف الذي بُلي به أهل العراق، أو بالأحرى جلبوه عليهم بتصرفاتهم، ونفس المعنى يتقله تكرار (يوم الزاوية) و(يوم دير الجمام) وهو تبيث فكرة الانهزام والتخاذل والتنازع والخسارة.

وكذلك الأمر على مستوى تكرار المضمون سواء على مستوى المفردات أو على مستوى الجمل. وبهذا يمكن الحكم على الخطبة بوحدة الموقف أو الهدف التواصلية؛ حيث إن موقف الحجاج لم يتغير طوال الخطاب الموجه لأهل العراق والخطاب الموجه لأهل الشام، وهو إقناع الطرف الأول بسوء النية والأفعال مما يستلزم التخلي عنه، وإقناع الطرف الثاني بضرتته وحمانيته والذود عنه. ولعل هذا الموقف الحازم يدعونا إلى تكرار السؤال الذي طرحته الباحثة نورة بن حمزة: «لماذا لجأ الحجاج إلى استخدام العنف على أهل العراق عندما كان والياً عليهم؟»⁽⁴²⁾، وتنبه بسؤالنا: ألم يكف الحجاج العنف المادي الذي مارسه على أهل العراق حتى يسلط عليهم لسانه فيمحو عنهم كل صفة حميدة؟

قد يكون العنف المادي الذي مارسه الحجاج على أهل العراق ناتجاً عن ثقافة بدائية متوارثة، جعلت أهل العراق يُعانون من الاستبداد على مرّ الأعصر التاريخية إلى غاية الفترة المعاصرة؛ ابتداءً بصراع الإنسان مع الطبيعة وتحوله إلى صراع الإنسان مع الإنسان، إلى حكم نبوخذ نصر، إلى طغيان الحجاج واستبداد المنصور، ثم هجوم المغول، ومن بعده الصراع بين العثمانيين السُّنة والصقويين الشيعة لاحتلال العراق⁽⁴³⁾... الأقوياء يتصارعون والضعفاء يدفعون الثمن غالباً، هذه النتيجة كافية لتأكيد الخذلان الذي تَوَسَّه الحجاج في أهل العراق، فما كانت خطبته فيهم إلا سرداً لتبعات هذا الخذلان من نفاق وشقاق ومكر وغدر... إذ لم يكن ينتظر منهم أن تنهأهم المواعظ وتزجرهم الوقائع. ودورنا نحن إزاء تلقي هذه الخطبة (الموجهة في أكثرها إلى أهل العراق) هو أن نحدد درجة إقناعنا بما قاله: هل نميل لرأي الحجاج أم نُصِف أهل العراق من قائد غير منصف؟!

ويؤدّي ازدواج الغرض التواصليّ ذاته الذي يؤدّيه التكرير؛ فاشتراك جملتين في نفس النعمة التي يولّدها توافّق الفواصل والوزن وعدد الوحدات، توافّقاً كلياً أم جزئياً، يسترعي انتباه المتلقّي وزيادة استفساره عن المقصد، لأنّ التركيب البسيط العاديّ للجمل يؤدّي فعلاً تقريرياً في ذهن المتلقّي قد لا يرقى به إلى التساؤل عن غايته التداولية، مكتفيّاً برصد معانيه الظاهرة وحسب، والتي تبقى في هذه الحالة حبيسة الذات المؤلفة مادامت لم تصل بمقاصدها إلى مُستَقْبَلِها، غير أنّ إعادة التركيب في صياغة أكثر رونقاً وأبلغ أثراً في السمع تحث المتلقّي على التدرّج في طلب المعاني، والانتقال من ظاهرها إلى باطنها، عبر التساؤل والشكّ ووصولاً إلى اليقين والتصديق والافتناع. لذلك فإنّ ورود كثير من جمل الخطبة ضمن بنية ازدواج يدعُو إلى التساؤل عن مقاصد الحجاج، والاشتغال بالبحث عنها عبر تفتيت الأدلة اللغوية المتميّزة عن غيرها والتي ترقى عن مستوى اللغة البسيطة، مثلاً: المقطع الوارد في الخطبة (إنّما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه، ينفي عنها المدّر، ويباعد عنها الحجر، ويكئها من المطر،/ ويحميها من الضباب، ويحرّسها من الذئب) يحملُ بُنيّتين متوازيتين تُؤدّيان المعنى ذاته الذي يحمله البديل البسيط: (أنا حاميكم والمدافع عنكم في جميع المواقف).

ولكنّ الصورة التشبيهية والتوازن الحاصل بين الجمل، إضافةً إلى الاسترسال في الكلام (حيثُ شغل معنى الحماية ستّ جمل كاملة)، كلّ هذه المظاهر تُكسبُ المعنى بُعداً آخر يحقّقه تأملُ الغاية التي من أجلها شغلت كلّ لفظة وكلّ وسيلة لغوية موقعها، ومن ثمّ تمعّن الأثر التواصلي للبنية الفنية الجمالية؛ حيث إنّ قارئ هذا القلب الجمالي لن يكون قنوعاً بقراءة الفقرات قراءةً ظاهريةً، أو ينشغل باللغة في ذاتها مناصراً شعار "الفنّ للفن"، بل حتّى إنّه قد لا يصدّق ما تحمله دلالاته ومقاصده منذ الوهلة الأولى للقراءة، وسيظلّ شاردّاً متشكّكاً متردّداً في اختيار الصحيح من بين جملة الاحتمالات، إلى أن يتوجّه نحو العمق محلّلاً ومكتشفاً خبايا النصّ، متجاوزاً في الآن نفسه مرحلة طرح الأسئلة إلى الإجابة عنها والافتناع بهرامي الحجاج في خطبته بما لا يترك مجالاً للشكّ؛ فقارئ الخطبة أو متلقّيها سيَقِفُ أوّل الأمر منذها من المعاني التي ساقها الحجاج لِكَلّا الطرفين: العراقي والشامي، ومن المبالغة التي وضعهما بمحاذاتها، ممّا يحثّ عليه التزام الحياد مؤقتاً، أو الوقوف وقفة شكّمبدئيّ، غير أنّ تأمل القلب المنطقيّ البياني والقلب اللغويّ اللذين رُصّت فيهما هذه المعاني سيرسّخُ فعل الافتناع عند المتلقّي، بل وسيفرضُ عليه التوجّه وجهة أحد الفريقين، وبنبرة أشدّ تسلّطاً وقهراً واستلاباً لِفِعْلِيّ الفهم والاختيار: ستفرضُ عليه هذه الخطبة بوسايلها

المنطقيّة واللّغوية الانحيازَ إلى صفّ الحجاج، وخصوصاً بالنسبة لمُستقبلي الخطبة الحقيقيّين الذين توجّه إليهم الخطيبُ بخطابه، مُراعياً في المقام الأول نزعاتهم التفسيرية ومقائمتهم الاجتماعية والتاريخية، الأمر الذي يُسهّل عليه استلاب خواطريهم وأفكارهم الخاصة، وإقناعهم بخواطره وأفكاره الذاتية.

خاتمة:

من خلال إجراء مقارنة بين وسائل الإقناع المنطقيّة والتشبيه والاستعارة في نصّ الخطبة، تتبدّى إمكانية قيام الصورة المجازية صورةً برهانيةً ترمي إلى الإقناع، بقدر ما ترمي إلى ترك أثر جماليّ في نفس المُتلقي. كما غلب من أنواع القياس: القياس المُضمر الذي يتوصّل إليه بواسطة الاستنتاج، وهذا ما يسمّح بالقول بأنّ استنباط الوجه البرهانيّ للصّور البيانيّة ليس دليلاً على قسديّة الخطيب ووعيه به، بل إنّ حصيلة الاستنتاج نظراً لعدم وجود قضيةٍ خلافيةٍ تصعّب المُرسَل في مُقابلةٍ تفاعليّةٍ مع المُرسَل إليه، حيث يسعى كلّ طرفٍ إلى تبرير أفكاره وإقامة الحجّة عليها في مُواجهة الطرف الآخر.

وَقَفَّ الحجاجُ في خطبته موقفَ الباث المتكلم المقتنع بأرائه، المُريد إقناع جمهوره بما يراه حقاً وما يراه باطلاً دون انتظار ردّهم، أو حتّى مُبادلة الرأي ومنح نفسه فرصةً للتراجع، فجعل أهل العراق شراً كلّهم وأهل الشام خيراً كلّهم، متّجياً عن منصب القائد المُنصف الذي ينتظر جواب الجماعة كي يُصدّر الحكم. وقد لا يكون هذا الوضع واقع خطبة الحجاج فقط بل واقع النصوص الخطابيّة العربيّة والغربيّة القديمة إجمالاً، لذلك جاءت البلاغة الجديدة لتطوّر هذا الوضع وتعمّق دعائم الخطاب الإقناعي، بإرساء مبدأ التّحاور أو المُشاركة من أجل التّوصّل إلى ردود وأفكار مقبّعة تُرضي جميع أطراف الخطاب.

مصادر البحث ومراجعته:

- * القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، عني بتصحيحه: خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، مصر، 1347هـ، 1928م، ج 04.
- توفيق الفيل، في البلاغة العربيّة فنون التصوير البياني، منشورات ذات السلاسل، ط 01، الكويت، 1407هـ، 1987م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البخل، تح وت: طه الحاجري، دار الكتاب المصري، د.ط، القاهرة، مصر، 1948م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1418هـ، 1998م، ج 02،

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، د.ط، صيدا، بيروت، 1425هـ، 2004م، ج 01.
- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، د.ط، القاهرة، مصر، 2000م.
- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي)، مفتاح العلوم، تح وتق وفه: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، لبنان، 1420هـ، 2000م.
- سليمة محفوظي، "مقاربة بلاغية حجاجية لخطبة ذير الجماجم للحجاج بن يوسف الثقفي"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، أبريل 2020م، مج 12، ع 02.
- طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، ط 12، مصر، 1989م، ج 03.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 01، بيروت، لبنان، 2004م.
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، الصناعتين-الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 01، مصر، 1371هـ، 1952م.
- كمال الزماني، "حجاجية الإيقاع في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي: دينامية التوازات التركيبية"، مجلة التواصلية، مخبر اللغة وفن التواصل، جامعة يحي فارس، المدية، 2018م، ع 12.
- محمد زغول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، ط 03، الإسكندرية، مصر، د.س.ن.
- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط 01، القاهرة، مصر، 1426هـ، 2005م.
- نورة بن حمزة، "سمات الأسلوب الخطابي-خطبة الحجاج بعد دير الجماجم أنموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مارس 2017م، ع 46

الهوامش:

- ¹- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، د.ط، القاهرة، مصر، 2000م، ص 105.
- ²- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 01، بيروت، لبنان، 2004م، ص 449.
- ³- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 107.
- ⁴- المرجع نفسه، ص ص 106، 107.
- ⁵- المرجع نفسه، ص ص 111، 112.
- ⁶- المرجع نفسه، ص 108.
- ⁷- المرجع نفسه، ص ص 110-117.
- ⁸- المرجع نفسه، ص 130.
- ⁹- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، د.ط، صيدا، بيروت، 1425هـ، 2004م، ج 01، ص 77.

- ¹⁰ - المصدر نفسه ، ص 77.
- ¹¹ - العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، الصناعتين-الكتابة والشعر ، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط 01 ، مصر ، 1371هـ ، 1952م ، ص 53.
- ¹² - محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري ، منشأة المعارف ، ط 03 ، الإسكندرية ، مصر ، د.س.ن. ، ص 30.
- ¹³ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين ، ج 01 ، ص 56.
- ¹⁴ - المصدر نفسه ، ص 57.
- ^{*} - الآيات الأربع الأولى من سورة الرحمن.
- ¹⁵ - محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري ، ص 29.
- ¹⁶ - جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، ص 151.
- ¹⁷ - المرجع نفسه ، ص ص 155 ، 156.
- ¹⁸ - المرجع نفسه ، ص 158.
- ¹⁹ - السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي)، مفتاح العلوم ، تح وتو: وفه: عبد الحميد هندواي ، دار الكتب العلمية ، ط 01 ، بيروت ، لبنان ، 1420هـ ، 2000م ، ص 249.
- ²⁰ - المصدر نفسه ، ص 437.
- ²¹ - المصدر نفسه ، ص ن ، وينظر أيضاً: باب "علم الاستدلال أو علم خواص تراكيب الكلام" ، ص 544 وما بعدها.
- ²² - توفيق الفيل ، في البلاغة العربية فنون التصوير البياني ، منشورات ذات السلاسل ، ط 01 ، الكويت ، 1407هـ ، 1987م ، ص 16.
- ²³ - نص الخطبة نقلاً عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 07 ، 1418هـ ، 1998م ، ج 02 ، ص ص 139 ، 140.
- ²⁴ - جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، ص 118.
- ²⁵ - محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، ط 01 ، القاهرة ، مصر ، 1426هـ ، 2005م ، ص 192.
- ²⁶ - المرجع نفسه ، ص 218.
- ²⁷ - المرجع نفسه ، ص 221.
- ²⁸ - المرجع نفسه ، ص 224.
- ²⁹ - طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، ط 12 ، مصر ، 1989م ، ج 03 ، ص 31.
- ³⁰ - محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 225.
- ³¹ - المرجع نفسه ، ص 217.
- ³² - جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، ص 122.
- ³³ - محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص ص 230-233.
- ³⁴ - المرجع نفسه ، ص ص 240-235.
- ³⁵ - المرجع نفسه ، ص 241.

- ³⁶- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، عني بتصحيحه: خير الدين الزركلي، المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، مصر، 1347هـ، 1928م، ج 04، ص 36.
- ³⁷- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البخلاء، تح وتغ: طه الحاجري، دار الكتاب المصري، د.ط، القاهرة، مصر، 1948م، ص 78.
- ³⁸- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 267.
- ^{**}- وردت الكلمة مرفوعة، ولكن الصحيح: منظماً، خبر يكون منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.
- ³⁹- كمال الزماني، "حجاجية الإيقاع في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي: دينامية التوازات التركيبية"، مجلة التواصلية، مخبر اللغة وفن التواصل، جامعة يحي فارس، الهدية، 2018م، ع 12، ص 218.
- ⁴⁰- المرجع نفسه، ص 220.
- ⁴¹- سلمية محفوظي، "مقاربة بلاغية حجاجية لخطبة ذير الجماجم للحجاج بن يوسف الثقفي"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، أفريل 2020م، مج 12، ع 02، ص 93.
- ⁴²- نورة بن حمزة، "سمات الأسلوب الخطابي-خطبة الحجاج بعد دير الجماجم أنموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مارس 2017م، ع 46، ص 491.
- ⁴³- المرجع نفسه، ص ن.